توظيف النص القرآني في كلام الإمام علي (عليه السلام)

أ.د مكِّي محي عيدان الكلابي

الباحثة رقية ناجح جابر الميَّالي

الملخص

تنوعت الموضوعات وكثُرت المؤلفات في كلام الإمام علي (عليه السلام) ، فمن الباحثين من كتب في نهج البلاغة ، ومنهم من كتب في أدعية الإمام علي (عليه السلام) ، وغيرها ، واختص كلٌّ بحثٍ بمجال معيَّن ، أمَّا في هذا البحث فقد تمَّ توظيف بعضٍ من خطب الإمام علي (عليه السلام) ومقاطع من أدعيته وأحاديثه (عليه السلام) التي يفهم منها نصًّا قرآنيًا أو آية أو لفظة قرآنية ، وكان الهدف من هذا البحث إثبات أهمية كلام الإمام علي (عليه السلام) ووظيفته في فهم القرآن الكريم ، بل يمكن عدُّه مصدرًا من مصادر تفسير القرآن الكريم ، فالأئمة هم عدل القرآن ، وهم القرآن الناطق ، وفي مقدِّمتهم سيد الأوصياء وإمام البلغاء وصي رسول الله الإمام علي (عليه السلام) ، كان كلامه بمثابة قراءة في كتاب الله تعالى ؛ لأنَّ الإمام هو القرآن الناطق ، فكان فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق .

المقدمة

إنَّ كلام الإمام علي (عليه السلام) بما يتضمن من خطب ، وأدعية ، وأقوال ، له قيمة عظيمة وأهمية كبيرة في جميع العلوم الإسلامية وعلوم اللغة وغيرها أيضًا ، إذ تعددت الكتابات وكثُرت المؤلفات في رحاب كلام الإمام علي (عليه السلام) ، فمن الباحثين من كتب في خطب نهج البلاغة ، ومنهم من كتب في أدعية الإمام علي (عليه السلام) ، وآخرون كتبوا في رسائله وحِكَمِهِ (عليه السلام) ، سعيًا لبيان جانب من أهمية كلام الإمام (عليه السلام) ؛ إذ يمكن الاعتماد عليه في فهم كثير من النُّصوص القرآنية الكريمة ، إذ يعد كلام الإمام (عليه السلام) قراءة في كتاب الله تعالى ؛ فالإمام هو القرآن الناطق وهو الأذن الواعية للقرآن الكريم ، إذ ظهرت في ميدان التفسير حاجة المفسرين إلى كلام الإمام (عليه السلام) في فهم النص القرآني والاستشهاد به في كثيرٍ من آياته المباركة ، لذا اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم على فقرتين : الأولى : مضامين تفسيرية للألفاظ من خطب الإمام علي (عليه السلام) وأدعيته ، والأخرى : المشاهد التصويرية في كلام الإمام علي (عليه السلام) .

أولًا : مضامين تفسيرية للألفاظ من خطب الإمام (عليه السلام) وأدعيته :

يتناول البحث ما تضمَّن من كلام الإمام علي (عليه السلام) فَهْمًا أو تفسيرًا وبيان لآياتٍ من القرآن الكريم ، إذ بعد قراءتي لكثيرٍ من أدعية الإمام (عليه السلام) وخطبه ألفيتُ كلام الإمام ممزوجًا بالقرآن الكريم ومستمدًا منه ، كأنَّه (عليه السلام) يعيد صياغة القرآن الكريم بلفظٍ آخر .اخترتُ عددًا من الألفاظ القرآنية الكريمة التي استعملها الإمام (عليه السلام) في كلامه وقد رتبت هذه الألفاظ بحسب كثرة ورودها في القرآن الكريم فقدمت الأكثر ورودًا على أقلها ورودًا .

١- **القنوط واليأس :**

جاء في دعاء للإمام علي (عليه السلام) يوم الفطر قوله : ((**والحمدُ لله لا مقنوطًا من رحمتِهِ ، ولا مخلوًّا من نعمتِهِ ولا مؤيسًا من رَوْحِهِ**)) [١] . نلحظ هنا أن الإمام استعمل لفظين قرآنين هما : القنوط واليأس ، وقد وردت لفظة القنوط ومشتقاتها ستَ مرات في القرآن الكريم ، ولفظة اليأس ومشتقاتها إحدى عشرة مرة [٢] .

ومعنى القنوط في اللغة : الإياس [٣] ، ((وهو اليَأْسُ من الخَيْرِ)) [٤] ، وهو من (((قنط) القاف والنون والطاء كلمةٌ صحيحة تدلُّ على اليأس من الشَّيء ، يقال : قَنَط يَقْنِط ، وقَنِطَ يقْنَط ، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إلاَّ الضَّالُّون** ﴾ [الحجر/٥٦])) [٥] ، وقال ابن منظور القنوط ((أشدُّ اليأسِ من الشيء)) [٦] ، وقنط قنوطًا : يئس أشدّ اليأس ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا** ﴾ [الشورى / ٢٨] فهو قانط وقنوط (قنط) قنوطًا وقناطة يئس ، وفي التنزيل العزيز ﴿ **لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر/٥٣] [٧] .

ومعنى اليأس لغةً : ((نقيض الرجاء)) [٨] ، و((اليَأْس القُنوط)) [٩] ، وقيل إنَّ ((الياء والهمزة والسين كلمتان: إحداهما اليأس : قَطْعُ الرَّجاء ، ويقال إنَّه ليست ياء في صَدرِ كلمةٍ بعدها همزة إلاّ هذه ، والكلمة الأخرى : ألم تَيْأَس ، أي ألم تَعْلَم ، وقالوا في قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [الرعد/٣١] أي أفلم يَعلَمْ)) [١٠] ، و((كل يأس في القرآن فهو قنوط إلا التي في الرعد فإنها وردت بمعنى العلم ﴿ **أَفَلَمْ يَأْيئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [الرعد/٣١])) [١١] .

و((الفرق بين القنوط واليأس : اليأس : انقطاع الطمع من الشيء ، والقنوط : أخص منه ، فهو أشد اليأس ، ويدل عليه قول سيد الساجدين في دعاء الصحيفة السجادية الشريفة : ((**تفعل ذلك يا إلهي بمن خوفه منك أكثر من طمعه فيك ، وبمن يأسه من النَّجاة أوكَدُ من رجائه للخلاص لا أن يكون يأسُه قنوطًا**)) [١٢] ، والقنوط أخص من مطلق اليأس ، ويدل عليه [١٣] قوله تعالى : ﴿ **لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر/٥٣] ، استدل أبو هلال العسكري بكلام الإمام السجاد (عليه السلام) في كون القنوط أخص من اليأس ، وأشد اليأس ، وهذا خير برهان على أحقيَّة كلام أهل البيت عليهم السلام بجعله مصدرًا يُرجَع إليه سواء في اللغة أو التفسير ، فهم أهل اللغة وعدل القرآن الكريم .

وجاءت إحدى مشتقات الأصل (قنط) في قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ** ﴾ [الحجر/٥٥-٥٦] ، فمعنى القانطين ، أي الآيسين أو اليائسين ، وهو خطاب موجه إلى نبي الله إبراهيم (عليه السلام) فأجابهم عند ذلك بأن قال : ﴿ **وَمَنْ** ﴾ الذي ﴿ **يَقْنَطُ** ﴾ أي ييأس ﴿ **مِنْ رَحْمَةِ** ﴾ الله تعالى وحسن إنعامه [١٤] . وجاء في تفسير (يقنطون) في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً**

فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم/٣٦] ، ((أي ييأسون من رحمة الله ، والقنوط اليأس من الفرج)) [١٥] . ومن ذلك أنَّ تفسير ﴿ **إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ** ﴾ أي ييأسون من الرَّحمة والفرج [١٦] .

ومعنى القنوط في بقية الآيات كان بمعنى اليأس أيضًا قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر/٥٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [الشورى/٢٨] ، كلا اللفظين (تقنطوا ، قنطوا) قد جاءا بمعنى اليأس [١٧] .

وقد ورد لفظ القنوط تابعًا للفظ اليأس في قوله تعالى : ﴿ **لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ** ﴾ [فصلت/٤٩] في معنى هذه الآية يقول الطوسي ((أي يقنط من رحمة الله وييأس من روحه)) [١٨] ، ويرى العلَّامة الطباطبائي أنَّهما بمعنى واحد وأن التكرار للتأكيد ، إذ يقول : ((واليأس والقنوط بمعنى وهو انقطاع الرجاء ، والدعاء الطلب)) [١٩] .

وذهب الطبرسي إلى أنَّ لكلٍّ منهما معنًى ، ﴿ **يَؤُوسٌ** ﴾ تعني شديد اليأس من الخير ، أمَّا ﴿ **قَنُوطٌ** ﴾ فتعني اليأس من الرحمة [٢٠] ، أمَّا الرَّازي فيرى أنَّ اليأس من صفة القلب ، أمَّا القنوط فهو أن تظهر علامات اليأس وآثاره في الوجه والحال [٢١] .

وأنا أؤيِّد من ذهب إلى وجود فرق – وإن كان بسيطًا – بين اللفظتين ، إذ ليس من المعقول أن ترد في القرآن الكريم لفظتان مختلفتان تحملان المعنى نفسه ، فبالرجوع إلى أصل اللفظتين في اللغة – كما فصَّلتُ – تبيَّن أنَّ القنوط أعلى درجة اليأس ، وممَّا يدلُّ على أن اللفظتين ليستا بمعنًى واحد ذلك أن الإمام جمع بينهما في جملةٍ واحدة ، إذ قال: ((**إلهي لم أسلِّط على حسن ظني بك قنوط الآيسين**)) [٢٢] ، وقوله (عليه السلام) : ((**إلهي لم أسلِّط على حسن ظني قنوط الأياس**)) [٢٣] ، وجاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ** ﴾ [فصلت/٤٩] ، فإن كان اللفظان بالمعنى نفسه لِمَ جُمِعا في الجملة نفسها ، وعليه فإنَّ معنى اليأس مختلفًا عن معنى القنوط .

٢– معنى الوسيلة :

قال (عليه السلام) في دعاء الأمان : ((**إلهي وسيِّدي دللتني على سؤال الجنة وعرَّفتني فيها الوسيلة إليك وأنا أتوسَّل إليك بتلك الوسيلة محمد وآله صلَّى الله عليهم أجمعين**)) [٢٤] ، وردت لفظة الوسيلة في القرآن الكريم في موضعين : الأول في سورة المائدة ، والآخر في سورة الإسراء .

جاء في أصل اللغة ((وسل : وسلت إلى ربي وسيلة ، أي : عملت عملًا أتقرَّب به إليه)) [٢٥] ، و((الوَسيلَةُ : ما يُتقرَّب به إلى الغير ، والجمع الوَسيلُ والوَسائِلُ ، والتوسيل والتَوَسُّلُ واحد ، يقال : وَسَّلَ فلانٌ إلى ربّه وَسيلَةً ، وتوَسَّلَ إليه بوَسيلَةٍ ، أي تقرَّب إليه بعمل)) [٢٦] .

وجاءت الوَسِيلةُ بمعنى المَنْزِلة عند المَلِك ، والوَسِيلة الدَّرَجة ، والوَسِيلة القُرْبة ، ووَسَّل فلانٌ إلى الله تعالى وسِيلةً إذا عَمِل عملًا تقرَّب به إليه ، وتوَسَّل إليه بوَسيلةٍ إذ تقرَّب إليه بعَمَل ، والوَسِيلةُ الوُصْلة والقُرْبى وجمعها الوسائل ، قال الله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** ﴾ [الإسراء/٥٧] ، وفي حديث الأَذان ((اللهمَّ آتِ محمدًا الوَسِيلَة)) [٢٧] ، هي في الأَصل ما يُتَوَصَّل به إلى الشيء ويُتَقَرَّب به ، والمراد به في الحديث القُرْبُ من الله تعالى ، وقيل هي الشفاعةُ يوم القيامة ، وقيل هي منزلة من مَنازِل الجنة كما جاء في الحديث [٢٨] .

إذن فلفظة الوسيلة تطلق في اللغة على كل شيء يؤدي إلى التقرب .

أمَّا الموضع الأوَّل الذي وردت فيه الوسيلة في القرآن الكريم فهو قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة/٣٥] ، جاء في تفسير القمّي في بيان معنى قوله تعالى : ﴿ **وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ أي ((تقربوا إليه بالإمام)) [٢٩] .

وذهب الطبرسي في معناها أي اطلبوا إليه القربة بالطاعات ، فكأنه قال تقرَّبوا إليه بما يرضيه من الطاعات ، وقيل الوسيلة أفضل درجات الجنة [٣٠] ، روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال : ((**سلوا الله لي الوسيلة فإنَّها منزلة في الجنة لا تنبغي إلَّا لعبدٍ من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة**)) [٣١] ، وروي عن الإمام علي (عليه السلام) أنَّه قال : ((**في الجنة لؤلؤتان إلى بطنان العرش إحداهما بيضاء والأخرى صفراء في كل واحدة منهما سبعون ألف غرفة أبوابها وأكوابها من عرقٍ واحدة فالبيضاء الوسيلة لمحمَّد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته والصفراء لإبراهيم وأهل بيته**)) [٣٢] .

وفي الميزان التقرُّب يكون بطاعته قال (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿ **وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ ((**أنا وسيلته**)) [٣٣]، وبعد التدبر والتأمُّل في الحديث ، وانطباق معنى الآية عليه تبيَّن عند صاحب الميزان أن الوسيلة هي مقام النبي (صلى الله عليه وآله) من ربِّه الذي بـــه يتقرب إليه تعالى ، ويلحق به آلُهُ الطاهرون ثم الصالحون من أمَّته [٣٤] ، وقد ورد في بعض الروايات : ((**عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : يجيء رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة آخذًا بحجزة ربه ، ونحن آخذون بحجزة نبينا ، وشيعتنا آخذون بحجزتنا**)) [٣٥] .

إذن الوسيلة تأتي بمعنى التقرُّب إلى الله عز وجل بالطاعات ، بل تشمل كل عمل أو شيء يؤدِّي إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، وهي أفضل درجات الجنة ، وقيل هي محمد وآل محمد كما جاء في تفسير هذه الآية الكريمة ، بل هي أهم الوسائل وأفضلها كما جاء في قول (عليه السلام) الذي أورده صاحب التفسير الأمثل ، وفيه عدَّد أفضل الوسائل التي يتقرَّب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى ، [٣٦] إذ قال (عليه السلام) : ((**إنَّ أفضلَ ما توسَّلَ بِهِ المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى ، الإيمان بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، والجهادُ في سبيله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وَصومُ شهرِ رمضان ، وَحجُّ البيت واعتمارُه ، وَصِلة الرحم ، وصدقة السِّر ، وصدقة العلانية ، وَصنائعُ المعروف فإنَّها تقي مصارع الهوان**)) [٣٧] .

وعلى هذا الأساس فإنَّ هُناك مفهومًا واسعًا جدًّا لكلمة (الوسيلة) يشمل كل عمل جميل ولائق ، وتدخل في مفهومها كل صفة بارزة أُخرى ؛ لأنَّ كل هذه الأُمور تكون سببًا في التقرب مِن الله تعالى [٣٨] .

وبالعودة إلى مواضع ورود الوسيلة في القرآن الكريم نذكر هنا الموضع الآخر لها ، وهو قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾ [الإسراء/٥٧] .

ففي هذه الآية جاءت الوسيلة بمعنى القرب والتوصُّل إلى المُتَوَسَّل به أيضًا ، لكنَّ السياق الذي جاءت فيه جعل لها معنى آخر ، إذ جاء في تفسيرها ((إنَّ هؤلاء المشركين يدعون هؤلاء الَّذين اعتقدوا فيهم أنَّهم أرباب ويبتغي المدعوون أربابًا إلى ربهم القربة والزلفة لأنَّهم أهل إيمان به والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله ، أيُّهم أقرب عند الله بصـــــــــالح أعماله واجتهاده في عبادته ، فهم يرجون بأفعالهم رحمته ويخافون عذابه بخلافهم إيَّاه)) [٣٩] .

والوسيلة على ما فسروه هي التوصُّل والتقرُّب ، وربما استُعمِلَت بمعنى ما به التوصل والتقرب ، ولعلَّه الأنسب للسياق ، بالنظر إلى تعقيبه بقوله تعالى : ﴿ **أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** ﴾ ، ومعنى الآية هنا أن جماعة من المشركين كانوا يشركون في دعائهم الملائكة والجن والإنس لطلب القرب إلى الله تعالى فيختارون أيَّهم أقرب فيتَّخذونه وسيلة ، والتوسل إلى الله ببعض المقرَّبين إليه على ما في الآية الكريمة قريب منه قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ [المائدة/٣٥] ، وهو غير ما يرومه المشركون من الوثنيين فإنَّهم يتوسَّلون إلى الله تعالى ويتقرَّبون بالملائكة الكرام والجن والأولياء من الإنس فيتركون عبادته تعالى ولا يرجونه ولا يخافونه ، وإنَّما يعبدون الوسيلة ويرجون رحمته ويخافون سخطه ، وبالجملة يدَّعون التقرُّب إلى الله تعالى ببعض عباده أو أصنام

خلقه ثمَّ لا يعبدون إلَّا الوسيلة مستقلَّةً بذلك ، ويرجونها ويخافونها مستقلَّةً بذلك من دون الله تعالى ، فيشركون بإعطاء الاستقلال لها في الربوبية والعبادة [٤٠] .

والمراد بأولئك الَّذين يدَّعون إن كان هو الملائكة الكرام والصُلحاء المقرَّبون من الجنِّ والأنبياء والأولياء من الإنس كان المراد من ابتغائهم الوسيلة ورجاء الرحمة وخوف العذاب ظاهره المتبادر ، وإن كان المراد بهم أعمَّ من ذلك حتى يشمل من كانوا يعبدونه من مردة الشياطين وفسقة الإنسان كفرعون والنمرود وغيرهما كان المراد بابتغائهم الوسيلة إليه تعالى ما ذكر من خضوعهم وسجودهم وتسبيحهم التكويني وكذا المراد من رجائهم وخوفهم ما لذواتهم ، وذكر بعضهم : أن ضمائر الجمع في الآية جميعًا راجعة إلى أولئك ، والمعنى أولئك الأنبياء الَّذين يعبدونهم من دون الله تعالى ، يدعون الناس إلى الحق ، أو يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه يبتغون إلى ربهم التقرُّب [٤١] .

وقال الزمخشري في معنى الآية : ((يعني أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة إلى الله تعالى ، و﴿**أَيُّهُمْ**﴾ بدل من واو ﴿ **يَبْتَغُونَ** ﴾ وأي موصولة أي يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب ؟ أو ضمن ﴿ **يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ** ﴾ [الإسراء/٥٧] ، معنى يحرصون فكأنَّه قيل : يحرصون أيُّهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنَّهم آلهة)) [٤٢] .

والمعنيان لا بأس بهما لولا أنَّ السياق لا يلائمهما كلَّ الملاءمة وثانيهما أقرب إليه من أولهما ، وقيل : إنَّ معنى الآية أولئك الذين يدعونهم ويعبدونهم ويعتقدون أنَّهم آلهة يبتغون الوسيلة والقربة إلى الله تعالى بعبادتهم ويجتهد كل منهم ليكون أقرب من رحمته ، وهو معنى لا ينطبق على لفظ الآية البتة [٤٣] .

وكذلك فإن شفاعة الأنبياء والأئمة والأولياء الصالحين تُقرِّب أيضًا إلى الله وفق ما نصَّ عليه القرآن الكريم ، وهي داخلة في المفهوم الواسع لكلمة الوسيلة وكذلك اتِّباع النَّبي والإمام والسير على نهجهما ، كلُّ ذلك يوجب التقرُّب إلى الساحة الإلهية المقدسة ، والجدير بالذكر هنا أنَّ المراد من التوسل لا يعني طلب شيء من شخص النَّبي أو الإمام ، بل معناه أن يبادر الإنسان المؤمن عن طريق الأعمال الصالحة والسير على نهج النَّبي والإمام بطلب الشفاعة منهم إلى الله تعالى ، أو أن يُقسِم بجاههم ودينهم ، وهذا يعدُّ نوعًا من الاحترام لمنزلتهم ، وهو نوع من العبادة لله تعالى أيضًا ، ويطلب من الله بذلك حاجته ، وليس في هذا المعنى أيُّ أثر للشرك ، كما لا يخالف الآيات القرآنية الأُخر [٤٤].

وبلحاظ ما تقدَّم نجد أنَّ الوسيلة في أصل اللغة تطلق على كلِّ شيءٍ يؤدِّي إلى التقرُّب ، وفي السياق القرآني جاءت لتدلَّ على التقرُّب والتوصُّل وما ماثلهما ، وهذا ما صرَّح به الإمام في المقطع المذكور من دعائِهِ (عليه السلام)

وهو قوله : ((**إلهي وسيدي دلَلْتَني على سُؤالِك الجنَّة وعرَّفتني فيها الوسيلةَ إليكَ وأنَا أتوسَّل إليك بتلكَ الوسيلة محمد وآله صلى الله عليهم أجمعين**)) [٤٥] ، إذ أكَّد فيه أنَّ معنى الوسيلة هم محمدٌ وآلُ محمَّد (عليهم السلام) .

٣- معنى الغِيبة :

جاء في قولٍ للإمام (عليه السلام) ينهى فيه عن سماع الغِيبة : ((**أيُّها النَّاس من عرف مِن أخيهِ وثيقةَ دِينٍ وسدادِ طريق فلا يسمعَنَّ فيه أقاويل الرِّجال ، أمَّا إنَّه قد يرمي الرَّامي ويُخطِئ السِّهام ويحيل الكلام ، وباطل ذلك يبور ، والله سميع وشهيد ، أما إنَّه ليس بين الحق والباطل إلَّا أربع أصابع فسئل (عليه السلام) عن معنى قوله هذا فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال الباطل أن تقول سمعتُ والحق أن تقول رأيتُ**)) [٤٦] ، وقد ورد النهي عن الغِيبة في موضع واحد من القرآن الكريم وهو الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات .

والغِيبةَ في اللغة : من الاغْتِيابِ ، واغْتابَ الرجلُ صاحبَه اغْتِيابًا إذا وَقَع فيه ، وهو أَن يتكلم خَلْفَ إنسان مستور بسوء أَو بما يَغُمُّه لو سمعه وإن كان فيه ، فإن كان صدقًا فهو غِيبةٌ ، وإن كان كذبًا فهو البَهْتُ والبُهْتانُ ، ولا يكون ذلك إلَّا من ورائه ، والاسم الغِيبةُ ، وفي التنزيل العزيز ﴿ **وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** ﴾ أَي لا يَتَناوَلْ أحداً بظَهْرِ الغَيْبِ بما يَسُوؤه ممَّا هو فيه ، وإذا تناوله بما ليس فيه فهو بَهْتٌ وبُهْتانٌ [٤٧] .

والغيبة واحدة من الأخلاق الذميمة التي أمر القرآن الكريم باجتنابها وشنَّع فعلها حتى جعله بمثابة أكل لحم المِيتة ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحجرات/١٢] ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** ﴾ أي : ((لا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له في وجهه)) [٤٨] ، وعرَّف الطبرسي الغِيبة بأنَّها : ((ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه)) [٤٩] .

وسُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الغيبة فقال : أن تذكر أخاك بما يكره ((إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه)) [٥٠] وعن ابن عباس رضي الله عنه : الغِيبة إدام كلاب الناس ، ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ** ﴾ في الآية تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرضه على أفظع وجه وأفحشه ، وفيه عدَّة مبالغات منها: الاستفهام الذي معناه التقرير ، ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة ، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأنَّ أحدًا من الأحدين لا يحب ذلك ، ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان ، حتى جعل الإنسان أخًا ، ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتًا [٥١] ، ﴿ **فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ فنسب الكراهة إلى الجميع ولم يقل : فكرهه ، وبالجملة محصلة أن اغتياب المؤمن بمنزلة أن يأكل الإنسان لحم أخيه حال

كونه ميتًا، وإنَّما كان لحم أخيه لأنه من أفراد المجتمع الإسلامي المؤلف من المؤمنين : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات/١٠] وإنما كان ميتا لأنه غافل عن غيبته لا يشعر بما يقال فيه ، وفي قوله : ﴿ **فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ ولم يقل : فتكرهونه إشعار بأن الكراهة أمر ثابت محقق منكم في أن تأكلوا إنسانا هو أخوكم وهو ميت فكما أن هذا مكروه لكم فليكن مكروها لكم اغتياب أخيكم المؤمن بظهر الغيب فإنه في معنى أكل أحدكم أخاه ميتا ، إنَّ ما في قوله تعالى : ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ** ﴾ من التعليل جارٍ في التجسُّس أيضًا كالغيبة ، وإنما الفرق أن الغيبة هو إظهار عيب الغير للغير أو التوصُّل إلى الظهور عليه من طريق نقل الغير ، والتجسُّس هو التوصُّل إلى العلم بعيب الغير من طريق تتبع آثاره ، ولذلك لم يبعد أن يكون قوله تعالى : ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا** ﴾ إلى آخر الآية تعليلًا لكلٍّ من الجملتين ، أي قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** ﴾ ، ففي الآية إشعارٌ أو دلالة على اقتصار الحرمة في غِيبَة المسلمين ، ومن القرينة عليه قوله في التعليل : ﴿ **لَحْمَ أَخِيهِ** ﴾ فالأخوة إنَّما هي بين المؤمنين [٥٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** ﴾ نزلت هذه الآية المباركة في رجلين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) اغتابا رفيقهما وهو سلمان بعثاه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليأتي لهما بطعام ، فبعثه إلى أسامة بن زيد ، كان خازن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على رحله ، فقال : ما عندي شيء ، فعاد إليهما فقالا : بخل أسامة ، ثمَّ انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهما : ((**مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما ؟**)) قالا : يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحمًا ، قال : ((**ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة**)) [٥٣] ، فنزلت الآية ونهت المسلمين عن الاغتياب .

وبعقد الصِّلة بين المعاني المتقدِّمة ومعناها عند الإمام (عليه السلام) في قوله : ((**أيُّها النَّاس من عرف من أخيه وثيقةَ دِينٍ وسداد طريق فلا يسمعنَّ فيه أقاويل الرِّجال أما إنَّه قد يرمي الرامي ويخطئ السهام ويحيل الكلام ، وباطل ذلك يبور ، والله سميع وشهيد ، أما إنَّه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع ، فسئل (عليه السلام) عن معنى قوله هذا فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال الباطل أن تقول سمعتُ والحق أن تقول رأيتُ**)) [٥٤] ، يتَّضح أنَّ في هذا الكلام نهيٌ عن التسرُّع في تصديق ما يقال من عيبٍ أو قدح في حق إنسان مستور ظاهر معروف بالصلاح والخير ، وهو على ما يبدو خلاصة قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات/٦] ، ثم ضرب (عليه السلام) لذلك مثلًا فقال : قد يرمي الرامي فلا يُصيب الغرض ، وكذلك قد يطعن الطاعن فلا يكون طعنه صحيحًا وربَّما كان لغرض فاسد أو سمعة ممَّن له غرض فاسد كالعدو والحسود ، وقد يشتبه الأمر فيظن المعروف منكرًا فيعجل الإنسان بقول لا يتحققه كمن يرى غلام زيد يحمل في إناء مستور مغطًّى خلًّا فيظنُّهُ خمرًا ، قال (عليه السلام) : ويحيل الكلام أي يكون باطلًا أحال

الرجل في منطقه إذا تكلَّم الذي لا حقيقة له ، ومن الناس من يرويه ويحيك الكلام بالكاف من قولك ما حاك فيه السيف ويجوز أحاك بالهمزة أي ما أثر ، يعني أنَّ القول يؤثِّر في العرض وإن كان باطلًا والرواية الأولى أشهر وأظهر ، ويبور يفسد ، وقوله وباطل ذلك يبور مثل قولهم للباطل جولة وللحق دولة وهذا من قوله تعالى : ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء/٨١] ، والإصبع مؤنثة ولذلك قال أربع أصابع فحذف الهاء وهنا قد يرد سؤالًا عن كيفية كون الباطل ما يُسمع والحق ما يُرى وإنَّ أكثر ما يصلنا إنَّما هو من طريق السماع كعلمنا الآن بنبوة النبي محمَّد (صلى الله عليه وآله) بما بلغنا من معجزاته التي لم نرها وإنما سمعناها ؟ فالجواب إن كلامه (عليه السلام) ليس فيما جاء متواترًا من الأخبار وإنَّما يقصد الإمام (عليه السلام) الأقوال الشاذة الواردة من طريق الآحاد التي تتضمن القدح فيمن قد غلبت نزاهته فلا يجوز العدول عن المعلوم بالمشكوك [٥٥] .

أي إنَّ الإمام (عليه السلام) في قوله : ((**الباطل أن تقول سمعتُ والحق أن تقول رأيتُ**)) لم يقصد ما وصلنا من أخبار عن طريق السَّماع أي ممَّا كان متواترًا من الأخبار ، بل ما كان صادرًا من أحدٍ يريد السوء بآخر أو طعنه وذمه ممَّا لا يَصدُقُ عليه لنزاهته مثلًا وبذلك لا ندع مجالًا لسوء الظن أو الغيبة وغير ذلك من الأفعال المحرَّمة التي نهى عنها القرآن الكريم والنبي (صلى الله عليه وآله) ، ويقول السيِّد الخوئي في شرحه لقول الإمام (عليه السلام) في الغيبة : ((اعلم أنَّ المقصود بهذا الكلام النَّهي عن التسرُّع إلى التصديق بما يقال في حقِّ الانسان الموصوف بحسن الظاهر المشهور بالوثوق والصَّلاح والتديُّن ممَّا يعيبه ويقدحه ، ويدلُّ عليه الأدلَّة الدالَّة على حرمة الإصغاء إلى الغيبة على ما تقدَّم في شرح الكلام السَّابق ، وإليه أُشير في قوله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات/٦] إذا عرفت ذلك فأقول قوله (عليه السلام) : ((**أيُّها النَّاس من عرف مِن أخيهِ وثيقةَ دِينٍ وسَداد طريق**)) أي دِينًا محكمًا و طريقًا صوابًا ، قيل المراد بوثيقة الدِّين اللُّزوم للأحكام الشرعيَّة والتقييد ، لا كمن يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنَّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، ولعلَّ المراد بوثيقة الدِّين العقيدة وبسداد الطريق حسن العمل كما يشعر به ما رواه الحافظ أبو نعيم بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال لابنه الحسن (عليه السلام) : يا بنيَّ ما السَّداد ؟ فقال : يا أبتي السداد دفع المنكر بالمعروف ، أي من عرف من أخيه المؤمن حسن الاعتقاد والعمل ((**فلا يسمعنَّ فيه أقاويل الرِّجال**)) أي أقاويلهم التي توجب شينه وتهدم مروَّته وتسقطه عن أعين النَّاس)) [٥٦] .

روى الصَّدوق في ثواب الأعمال ... عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السَّلام قال : قيل له : جعلت فداك الرَّجل من إخواني بلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات ، فقال (عليه السلام) : ((**كذِّب سمعك وبصرك عن أخيك وإن شهد عندك خمسون قسَّامة وقال لك قولًا فصدِّقه وكذِّبهم ، ولا**

تذيعنَّ عليه شيئًا تشينه به وتهدم به مروَّته فتكون من الَّذين قال الله عز وجل [٥٧] : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ** ﴾ [النور/١٩])) .

وفي ختام الحديث يتبيَّن أنَّ الغِيبة لا تَصدُقُ إلَّا بين المسلمين ، وحُدَّد قول الغيبة بالأقاويل ، والمقصود بها كما استعملت في القرآن الكريم لتصغير وتحقير القول لأنها مُتَقَوَّلَة وتعني الأقوال الباطلة أي الأكاذيب [٥٨] ؛ لأنَّ الشخص يتقوَّل على أخيه المسلم ، وذِكْرُ الإمام (عليه السلام) للرَّمي والرَّامي تشبيهٌ بما تُحدِثُهُ هذه الأقاويل في نفس المؤمن ، الذي هو أشبه ما يكون بسهام الرَّامي حين تُصيب الهدف ، وينتهي إلى أنَّ هذا الكلام لا يبقى ويزول بسرعة لأنَّه من غيرِ صحَّة ، وعليه يجب على الإنسان المؤمن أن لا يُسارِع إلى تصديق مثل هذه الأقوال ، أمَّا تعامل الإمام (عليه السلام) مع الغيبة عن طريق قرنهما بالسَّمع والبصر – وهو ممَّا أفاض المفسِّرون والشرَّاح فيه – فيلتقي مع الآية الكريمة الخاصَّة بالغيبة ، فكما ذكر الله تعالى التجسُّس قبل الاغتياب ، كذلك ذكر الإمام السمع قبل البصر ، فالظاهر أنَّ الأولى هي الطريق الأوَّل إلى الثانية .

ثانيًا : المشاهد التصويرية في كلام الإمام علي (عليه السلام) :

نجد في كلام الإمام علي (عليه السلام) صورًا تفسيريةً كاملةً ، فعلى الرَّغم ممَّا نلحظه في القرآن الكريم من الصور المتعدِّدة لمشاهد كاملة فإنَّ بعضًا منها يقتضب فيها القرآن الكريم ليترك القارئ يسرح في فكره لحكمةٍ معيَّنة ، ولعلَّ هذا ما نشعر معه – وعلى نحوٍ أكبر – بالحاجة إلى المعصوم الذي قيل فيه إنَّه القرآن النَّاطق ، فالصور التي استعرضها الإمام علي (عليه السلام) لم نكُن لنُحيطَ بها بفكرنا ، ولا سيَّما أنَّ القرآن الكريم قد ذكر أجزاءها في مواضع متعدِّدة وآيات متفرقة فعمدَ (عليه السلام) بما يمتلكه من أدواتٍ تفسيرية إلى لملمة تلك الجزئيات وعرضها في مشهدٍ متكاملٍ لا يمكن أن نتصوَّره في مخيِّلتنا ، وستظهر روعة تلك المشاهد على نحوٍ أبرز بوساطة تلك الصور التي عرضَ لها الإمام (عليه السلام) في كلامه وتوظيفها لفهم النَّص القرآني .

١– في وصف الملائكـــة :

قال الإمام علي (عليه السلام) من خطبةٍ له (يذكر فيها ابتداء خلق السَّماء والأرض وخلق آدم) : ((**ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ اَلسَّمَوَاتِ اَلْعُلاَ فَمَلاَّهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ وَصَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ لاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ اَلْعَيْنِ وَلاَ سَهْوُ اَلْعُقُولِ وَلاَ فَتْرَةُ اَلْأَبْدَانِ وَلاَ غَفْلَةُ اَلنِّسْيَانِ وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ وَمِنْهُمُ اَلْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَاَلسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ وَمِنْهُمُ اَلثَّابِتَةُ فِي اَلْأَرَضِينَ اَلسُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ وَاَلْمَارِقَةُ مِنَ اَلسَّمَاءِ اَلْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ وَاَلْخَارِجَةُ مِنَ اَلْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَاَلْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ اَلْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ اَلْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ**

اَلْقُدْرَةِ لاَ يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَلاَ يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ اَلْمَصْنُوعِينَ وَلاَ يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَلاَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ)) [٥٩].

لفت الإمام انتباهنا إلى أن الله تعالى جعل الملائكة أصنافًا وأشكالًا متعددة حين قسَّم الملائكة وجعلهم أربعة أقسام ، الأول : أرباب العبادة ومنهم الراكع والساجد والصَّافّ والمسبح ، والقِسْم الثاني : الأمناء على وحي الله لأنبيائه والألسنة الناطقة في أفواه رسله والمختلفون بالأقضية إلى العباد ، والقِسْم الثالث : حفظة العباد كأنهم قوى مودعة في أبدان البشر ونفوسهم ، ومنهم سدنة الجنان جمع سادن وهو الخادم ، والقِسْم الرابع حملة العرش كأنهم القوة العامة التي أفاضها الله في العالم الكلي [٦٠] ، وقد وصف الإمام (عليه السلام) وقدَّم صورًا متكاملة لأنواع الملائكة وهو ما سمَّاه بالأطوار في قوله (عليه السلام) : ((**فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلاَئِكَتِهِ**)) إذ يقول الله تعالى : ﴿ **وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴾ [نوح/١٤] ، فالأطوار جاء في معناها قولين : ((الأول : الطَوْرة التارة ، يعني حالًا بعد حال .. نطفة ثم علقة إلى آخر التَّارات ، الثاني : الطور الحال ، والمعنى خلقكم أصنافًا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضًا)) [٦١] .

والقول الثاني أقربها معنى من سياق لفظة (أطوارًا) التي جاءت في قول الإمام (عليه السلام) ، وفي مجمع البيان ((أطوارًا أحوالًا حالًا بعد حال وقيل معناه صبيانًا ثم شبَّانًا ثم شيوخًا وقيل خلقكم مختلفين في الصفات أغنياء وفقراء وزمناء وأصحاء وطوالًا وقصارًا والآية محتملة للجميع)) [٦٢] ، وقيل : الأطوار ((الضروب والأجناس)) [٦٣] .

ووصف كل نوع منهم وصفًا يختلف عن الآخر مثال المشهد الأول للقِسْم الأول من الملائكة قوله (عليه السلام) : ((**مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ**)) إذ يَوْقَرُ في ذهننا إن هؤلاء الملائكة ساجدون وكأن حالة السجود ملازمة لهم حتى أنَّه جاء في أقوال عن أهل البيت (عليهم السلام) ما يثبت ذلك ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : ((**وإنَّ لله ملائكة ركعًا إلى يوم القيامة ، وإنَّ لله ملائكة سجدًا إلى يوم القيامة**)) [٦٤] ، فهذا يدل على ديمومة عبادتهم لله تعالى كما وصفهم سبحانه في قوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾ [الأعراف/٢٠٦] ، ((بيَّن الله تعالى إنَّ الذين عنده ، وهم الملائكة ، ومعناه أنَّهم عنده بالمنزلة الجليلة لا بِقُرْبِ المسافة ، لأنَّه تعالى ليس في مكان ولا جهة فيقرب غيره منه ، لأنَّ ذلك من صفات الأجسام ، وهذا حثٌّ منه على الطَّاعة والاستكانة والخضوع له ، لأنَّ الملائكة مع فضلها وارتفاع منزلتها إذا كانت لا تستكبر عن عبادته بل تسبحه دائمًا وتسجد مثل ذلك فبنوا آدم بذلك أولى وأحق ولهم أوجب وألزم)) [٦٥] . وفي تقديم السجود على غيره كأول عبادة من العبادات التي تتعبد بها الملائكة حكمة فلربما أراد الإمام أن يدل على عظمة السجود أو بيان أهميته وعظم ثوابه لأنَّه أحب العبادة لله تعالى وأعظم ما يُتَعَبَدُ به له تعالى ، قال الإمام الرضا (عليه السلام) : ((**أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل وهو ساجد ، وذلك قوله عز وجل** ﴿ **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** ﴾ [العلق/١٩])) [٦٦] .

ومن ثمَّ ذكر الإمام الركوع في قوله (عليه السلام) : ((**وَرُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ**)) وربما فيه إشارة أو دليل على أن الركوع يأتي بعد السجود من حيث مرتبة العبادة ، وفي الوقت نفسه يصور لنا المشهد الذي نتخيل فيه هؤلاء الملائكة وهم ركوع لله تعالى وكأنَّ ركوعهم دائمٌ لا يقومون منه وكما في قول الإمام الصادق (عليه السلام) الآنف الذكر .

أمَّا قوله (عليه السلام) : ((**وَصَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ**)) فهنا نتصور هؤلاء الملائكة وكأنَّهم صفوف لا يتفارقون طرفة عين أبدًا مُصطَفِّينَ للعبادة فقد ورد ذكر هذه الطَّائفة من الملائكة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وَالصَّافَّاتِ صَفًّا** ﴾ [الصافات/١] وقوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** ﴾ [الصافات/١٦٥] ، إذ أورد المفسرون أقوالًا عدة في معنى الصَّافَّات جاء في مجمع البيان ((اختلف في معنى الصَّافات على وجوه أحدها : أنَّها الملائكة تَصف أنفسها صفوفًا في السَّماء كصفوف المؤمنين في الصلاة ، وثانيها : أنَّها الملائكة تصف أجنحتها في الهواء إذا أرادت النُّزول إلى الأرض واقفة تنتظر ما يأمرها الله تعالى ، وثالثها : أنَّهم جماعة من المؤمنين يقومون مصطفين في الصلاة وفي الجهاد)) [٦٧] ، وروي أنَّهم أهل البيت قال الإمام علي (عليه السلام) في بعض خطبه : ((**إنَّا آل محمد كنَّا أنوارًا حول العرش ، فأمرنا الله بالتسبيح فسبحنا فسبحتْ الملائكةُ بتسبيحنا ، ثمَّ أهبَطنا إلى الأرض فأمرنا الله بالتَّسبيح فسبحنا فسبحتْ أهلُ الأرضِ بتسبيحنا ، فإنَّا لنحنُ الصَّافون وإنَّا لنحن المسبحون**)) [٦٨] .

وقيل هم ((الملائكة والأنبياء ومن صفَّ لله وعبده)) [٦٩] ، إنَّ الصَّافَّات هم ((الملائكة مصطفون في السَّماء يسبحون الله)) [٧٠] ، ((والصَّافَّات قسمًا بالملائكة المصطفين لإطاعة أوامر الله)) [٧١] ، ((يعني الملائكة الملائكة صفوفًا في السماء يسبحون الله تعالى كصفوف الناس للصلاة ، ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** ﴾ أي نصفُّ أقدامنا في الصلاة وأجنحتنا حول العرش داعين المؤمنين)) [٧٢] .

وجاء ذكر (الصَّافون) في سياق الآيات الكريمة ((﴿ **وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ** ﴾ [الصافات/١٦٤] هذا قول جبرائيل للنَّبي (صلَّى الله عليه وآله) وقيل إنَّه قول الملائكة وفيه مضمر أي وما منا معشر الملائكة ملك إلا له مقام معلوم في السماوات يعبد الله فيه وقيل معناه أنه لا يتجاوز ما أُمر به ورتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حد له فكيف يجوز أن يعبد من بهذه الصفة وهو عبد مربوب ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** ﴾ حول العرش ننتظر الأمر والنهي من الله تعالى وقيل القائمون صفوفا في الصلاة .. صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض وصافون بأجنحتنا في الهواء للعبادة والتسبيح)) [٧٣] .

((والجميل في هذه العبارة أنّ الملائكة هي التي تتحدّث عن نفسها : ﴿ **وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ** ﴾ وتضيف ملائكة الرَّحمن : وإنَّنا جميعاً مصطفون عند الله في انتظار أوامره ، ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ** ﴾ وإنَّنا جميعًا نسبِّحه ، وننزِّهه عمَّا لا يليق بساحة كبريائه ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** ﴾ نعم ، نحن عباد الله ، وقد وضعنا أرواحنا على الأكف بانتظار سماع أوامره ، إنَّنا لسنا أبناء الله ، إنَّنا ننزِّه الباري عزَّ وجلَّ من تلك المزاعم الكاذبة والقبيحة وإنَّنا منزعجين ومشمئزِّين من خرافات وأوهام المشركين ، في الحقيقة إنَّ الآيات المذكورة أعلاه أشارت إلى ثلاث

صفات من صفات الملائكة ، الأولى : هي أنَّ لكلٍّ واحد منهم مقام معيَّن ومشخّص ليس له أن يتعدّاه ، والثانية : هي أنّهم مستعدّون دائماً لإطاعة أوامر الله سبحانه وتعالى وتنفيذها في عالم الوجود ، وهذا الشيء مشابه لما ورد في سورة الأنبياء : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنبياء/٢٦-٢٧] ، والثالثة : أنَّهم يسبِّحون الله دائمًا وينزِّهونه عمَّا لا يليق بساحة كبريائه)) [٧٤] .

إذن يتبين مما تقدم أن في كلام الإمام علي (عليه السلام) دلالة واضحة على أن الصَّافون هي صفة من صفات الملائكة يصطفون عبادة وطاعة لله تعالى وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم بلفظ (الصافون) و (الصافات) فقد كانت أغلب التفسيرات تدل على أنَّهم الملائكة في حال اصطفافهم لعبادة الله تعالى . وهذا المشهد يصور لنا الملائكة أولئك المخلوقات الذين رفعهم وشرفهم الله تعالى وأعلى شأنهم حتى قال عنهم في القرآن الكريم ﴿ **وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ** ﴾[الأنبياء/١٩] أي إنَّهم على ما لهم من شأن عند الله تعالى إلاَّ أنهم لا يستكبرون عن عبادته تعالى بل ولا يملون ولا يفترون ولا يتوقفون أبدًا ((أنَّهم مع جلالة قدرهم وعلو أمرهم يعبدون الله تعالى ويذكرونه وفائدته أنَّكم إن استكبرتم عن عبادته فمن هو أعظم حالًا منكم لا يستكبر منها)) [٧٥] .

.

وتجدر الإشارة بالذكر إلى أن هذه الآيات كقوله تعالى : ﴿ **فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ** ﴾ [فصلت/٣٨] وقال : ﴿ **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴾ [الأنبياء/٢٠] ، لا تختص بالملائكة فقط وإنَّ بعضها تشمل الأنبياء والرسل والأئمة [٧٦] .

وهذا المشهد المتكامل يعبر لنا عن أهمية مرتبة الصلاة وهي الأعظم في العبادة وهو من جهته يعبر عن المرتبة الأعلى للملائكة .

وفي قوله (عليه السلام) : ((**وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ**)) قد يعبر عن معنيين التسبيح خلال الصلاة أو التسبيح بعد الصلاة وهذا كله مهما ابتعد لا يتجزأ عن الصلاة لأن المشهد عبَّر عن بعض أركان الصلاة والتسبيح والصلاة متلازمان ، فعند التأمل في قول الإمام (عليه السلام) وفي وصفه للملائكة وكأنه يريد أن يوصلنا إلى ساحل بحر من الخيال فيجعلنا نتصورهم كلٌّ على قدر عقله وكلٌ يرسم لذلك صورة في مخيلته وإن لم نستطع الوصول إلى الكنه ولكن يظهر هنا رقي الإمام وبراعته في التعبير بل ويجعله متناسق السياق والمعنى مع القرآن الكريم ، إذ تراه يصف الملائكة ويقول مسبحون وكأن اسمهم المسبحون أو أنهم أُختُصُوا بهذه العبادة بل ومستمرين في التسبيح ويدل عليه قوله (عليه السلام) لا يسأمون كما قال الله تعالى : ﴿ **فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ** ﴾ [فصلت/٣٨] ((أي لا يَمُلُّون ولا يَفْتُرُون)) [٧٧] . يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾ [الأعراف/٢٠٦] ، وفي قول الإمام (عليه السلام) : ((**وصافُّون لا يتزايلون ، ومسبِّحون لا يسأمون**)) يعني أنَّ بعضا منهم ساجد لا يرفع رأسه من السجود ليركع ، ومنهم من هو

راكع لا يقوم من ركوعه ، ومنهم صافّون للعبادة لا يتفارقون من مكانهم ، ومنهم مسبحون لا يملُّون من تسبيحهم ، كما قال سبحانه حكاية عنهم : ﴿ **وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** ﴾ إشارة إلى تفاوت مراتبهم ودرجاتهم في العبادة ، أي ما منّا أحد إلاّ له مقام معلوم في العبادة والمعرفة والانتهاء إلى أمر اللّه تعالى في تدبير العالم ، وإنَّا لنحن الصافُّون في أداء الطَّاعة ومنازل الخدمة ، وإنَّا لنحن المسبِّحون المنزِّهون اللّه تعالى عمَّا لا يليق به ، وقيل : إنَّ المراد بالصَّافين القائمون صفوفًا في الصَّلاة ، وقيل صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدُّنيا في الأرض ، وعن الجبائي المعنى صافون بأجنحتنا في الهواء للعبادة والتَّسبيح والمراد بالمسبحين القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله هذا [٧٨] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ** ﴾ [الأنبياء/١٩] أي لا يضعفون ولا يعيون وقيل لا يعجزون [٧٩] . بعدها يصفهم الإمام بصفات أخر فيقول (عليه السلام) : ((**لا يغشاهم نوم العين ولا سهو العقول**)) فهتين الصفتين تدلان على استمرارية العبادة من الملائكة لله تعالى ، ثم يقول (عليه السلام) : ((**ولا فترة الأبدان**)) فقال تعالى : ﴿ **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴾ [الأنبياء/٢٠] ، الفترة وهي أي لا يملون من العبادة ولا يتركونها بل هم دائمون عليها [٨٠] ، لا يفترون : أي لا يضعفون عنه قال كعب جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس في السهولة [٨١] .((﴿ **وَمَنْ عِنْدَهُ** ﴾ هم الملائكة ، والمراد أنهم مكرمون ، منزلون – لكرامتهم عليه – منزلة المقرّبين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه ، فإن قلت : الاستحسار مبالغة في الحسور ، فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور ، قلت : في الاستحسار بيان أنّ ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه ، وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون ﴿ **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴾ [الأنبياء/٢٠] ، أي : تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم ، لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر)) [٨٢] . ((﴿ **لَا يَفْتُرُونَ** ﴾ بمنزلة التفسير لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ** ﴾ أي لا يأخذهم عيٌّ وكلال بل يسبِّحون الليل والنَّهار من غير فتور ، والتسبيح بالليل والنهار كنايةً عن دوام التسبيح من غير انقطاع ، يصف تعالى حال المقربين من عباده والمكرمين من ملائكته أنَّهم مستغرقون في عبوديته مُكِبُّون على عبادته لا يشغلهم عن ذلك شاغل ولا يصرفهم صارف ، وكأنَّ الكلام مسوق لبيان خصوصية مالكيته وسلطنته)) [٨٣] .

القسم الثَّاني من الملائكة هم الأمناء يقول (عليه السلام) ((**وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ**)) ﴿ **مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** ﴾ [التكوير/٢١] ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ** ﴾ [الشعراء/١٩٣] ، وألسنة إلى رسله ، ومختلفون بقضائه وأمره .

((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لجبرائيل (عليه السلام) ما أحسن ما أثنى عليك ربك ﴿ **ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** ﴾ [التكوير/٢٠-٢١] فما كانت قوتك وما كانت أمانتك فقال أما قوتي فإني بعثت إلى مداين لوط وهي أربع مداين في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماوات أصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن وأما أمانتي فإني لم أومر بشيء

فعدوته إلى غيره)) [٨٤] . عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله : ﴿ **ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ** ﴾ [التكوير/٢٠] قال (عليه السلام) : ((**يعنى جبرئيل قلت : قوله ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾** [التكوير/٢١] ، **قال : يعنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو المطاع عند ربِّه الأمين يوم القيامة**)) [٨٥] .

ثمَّ القسم الثالث وهم الحفظة على العباد وقد وصفهم الإمام (عليه السلام) : ((**وَمِنْهُمُ اَلْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ**)) الذين جاء ذكرهم في آيات متفرقة من القرآن الكريم : ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً** ﴾ [الأنعام/٦١] ، ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ** ﴾ [الانفطار/١٠] ، ﴿ **إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾ [الطارق/٤] .

هذه الآيات الكريمة تذكر أصناف الملائكة وأعمالهم وعباداتهم المستمرة لله عز وجل من غير ملل ولا سأم ، وبعض الأصناف كان قد أشار إليها الإمام (عليه السلام) في كلامه وفي مقطع الخطبة آنف الذكر ، ممَّا يتجلى بوضوح قدرة الإمام (عليه السلام) على الربط العجيب في كلامه بالقرآن الكريم .

٢- الأمور التكوينية في كلام الإمام (عليه السلام) :

تضمَّن كلام الإمام (عليه السلام) وصف يوم القيامة وبعض الأحداث التي تحصل في ذلك اليوم ومنها ما يحصل للأرض والجبال ومن ثم إخراج الناس للحساب فيكونون على فريقين ، إذ يقول الإمام (عليه السلام) في أحد أدعيته الواردة في الصحيفة العلوية : ((**فأرَّجَ أرضَهم ، وأرْجَفَها ، وزلزلَها ، وقلعَ جبالَها ونَسَفَها وسيَّرها ، وركَّب بعضها بعضًا من هيبتِه وجلالِه ، وأخرجَ من فيها فجدَّدهم بعد بلائِهم ، وجمعهم بعد تفريقهم ، يريدُ أن يُحْصِيَهم ويميِّزهم ، فريقًا في ثوابه وفريقًا في عقابه فخلَّدَ الأمرَ لأبدِهِ دائمًا خيرَهُ وشرَّهُ ، ثمَّ لم ينسَ الطَّاعةَ من المطيعين ، ولا المعصيةَ من العاصين ، فأرادَ عز وجل أنْ يجازيَ هؤلاء ، وينتقمَ من هؤلاء**)) [٨٦] ، وقد ورد هذا المقطع في خطبة له (عليه السلام) بألفاظ متقاربة : ((**وَأَرَجَّ اَلْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بعد أَخْلاَقِهِمْ وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا اَلْأَعْمَالِ وَخَبَايَا اَلْأَفْعَالِ وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلاَءِ وَانْتَقَمَ مِنْ هَؤُلاَءِ**)) [٨٧] .

إذ تتجلى في هذا الدعاء المبارك مقاطع تصويرية لبعض أمور الكون التي وردت في القرآن الكريم إذ يصف (عليه السلام) الأرض بالارتجاج في قوله (عليه السلام) : ((**وأرَجَّ الأرض ، وأرْجَفَها ، وزلزلَها ، وقلعَ جبالَها ونَسَفَها**)) ومعنى ذلك ((أي حرَّكها مع رجيج وصوت ، و(رَجَّ) لغة القرآن ، وأرجفها : جعلها مضطربة ، ونسفها : قلعها)) [٨٨] ، ويأتي الارتجاج بمعنى التزلزل أيضا ((أرَجَّ الأرض : زلزلها تقول : رُجَّت الأرض وأرَجَّها الله ويجوز رجَّها ، وقد روي رجَّ الأرض بغير همزة وهو الأصح وعليه ورد القرآن ﴿ **إِذا رُجَّتِ اَلْأَرْضُ رَجًّا** ﴾ [الواقعة/٤])) [٨٩] .

استعمل الإمام (عليه السلام) في هذا القول لفظة قرآنية وهي (أرَجَّ) وهي لغة القرآن الكريم كما في قول ابن أبي الحديد الآنف الذكر والتي جاءت من رجَّ التي في قوله تعالى : ﴿ **إِذا رُجَّتِ اَلْأَرْضُ رَجًّا** ﴾ [الواقعة/٤] إذ تظهر

المماثلة بين سياق الدعاء وسياق القرآن الكريم ولا سيما المعنى فقد ذهب الطوسي في معنى الآية الكريمة : ﴿ **إِذا رُجَّتِ اَلْأَرْضُ رَجًّا** ﴾ : ((زُلزلت الأرض زلزالًا)) [٩٠] ، أي حُرِّكَت حركةً شديدةً وتَزلزلت زلزالًا شديدًا ، أي رَجفت بإماتة من على ظهرها من الأحياء وتُرجُّ بما فيـــها كما يُرجُّ الغربال بما فيه أي تُرج بإخراج من في بطنها من الموتى [٩١] ، وينقلنا هذا المعنى إلى قوله تعالى : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا** ﴾ [الزلزلة/١-٢] .

ولفظة (أرجف) التي جاءت من الأصل اللغوي (رجف) [٩٢] فمن مشتقاتها الواردة في القرآن الكريم ترجف والرَّاجفة والرَّجفة جاءت في قوله تعالى : **يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا** ﴾ [المزمل/١٤] وقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ** ﴾ [النازعات/٦] ، ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾ [الأعراف/٧٨ ، ٩١] ، ﴿ **فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ** ﴾ [الأعراف/١٥٥] ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾ [العنكبوت/٣٧] ، فالآية الأولى ﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا** ﴾ [المزمل/١٤] ، تبدو واضحة في كون الارتجاف مختصًا بالأرض ومعنى ترجف الأرض : تتزلزل وتتحرك باضطراب شديد [٩٣] ، أمَّا الرَّاجفة فذُكِرَتْ لها معان عدة ومنها أنَّ الرَّاجفة هي الأرض تنشق بأهلها [٩٤] ، فالرَّجف حركة الشيء من تحت غيره بترديد واضطراب ، وهي الزلزلة العظيمة أي إنَّ الأرض تتزعزع [٩٥] . وقيل هي ((النفخة الأولى التي يموت فيها جميع الخلائق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرَّعد إذا تمخض)) [٩٦].

إذن الرَّاجفة تكون بمعنى تزلزلُ الأرض وبمعنى الصَّيحة والنَّفخة ، وبظنِّي أنَّ المعنى الأول أقربها وأصحها بدليل أنَّ هذه اللفظة جاءت في آية أخرى تصف الأرض ﴿ **يوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ** ﴾ [المزمل/١٤] ، وكذلك في كلام الإمام (عليه السلام) ((**أرج الأرض وأرجفها**)) ، فقد جاء في بيان قوله (عليه السلام) ((أرجفها جعلها راجفة أي مرتعدة مُتَزَلْزِلَة رجفتْ الأرض والرَّجفان الاضطراب الشَّديد وسمي البحر رَجَّافًا لاضطرابه)) [٩٧] ، وهو مطابق لمعناها في القرآن الكريم ، أما معنى الرجفة في الآيات الثلاث فجاءت بمعنى ((الزَّلزلة العظيمة والحركة الشَّديدة)) [٩٨] وقيل الرَّجفة : ((أي الصَّيحة)) [٩٩] .

إذن تبين من كلام الإمام (عليه السلام) أن الارتجاج والارتجاف والتزلزل هذه الحالات كلها تكون في الأرض فهي معان تصور مشهدا عجيبًا وحالًا من حالات الأرض غير الطبيعية وذلك في يوم القيامة ، وهو ما وجدته وأظنه مناظرًا أو مصورًا وهذا المعنى موجودٌ في آيات أخر والتِّي تتحدث عن يوم القيامة كما في بداية سورة الزلزلة المباركة .

ثم يقول الإمام (عليه السلام) ((**وقلع جبالها ونسفها وسيرها**)) ((تسيِّير الجبال تصيِّيرها هباءً وسرابًا)) [١٠٠] ، في هذا المقطع إخبار عن حال الجبال في ذلك اليوم الحقّ بملاحظة ما جاء في القرآن الكريم بخصوص مصير الجبال ليوم القيامة تظهر لنا أنَّ الجبال ستطويها مراحل متعاقبة ، تبدأ حركتها من : ﴿ **وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا** ﴾ [الطور/١٠] ثمَّ تُحمل وتُدك : ﴿ **وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً** ﴾ [الحاقة/١٤] فتكون تلالًا من الرِّمال المتراكمة : ﴿ **وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا** ﴾ [المزمل/١٤] فتصبح كأصواف منفوشة : ﴿ **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ** ﴾ [القارعة/٥] ، فتتحول غبارًا متناثرًا في الفضاء : ﴿ **وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا** ﴾ [الواقعة/٥-٦] ولا يبقى منها أخيرًا إلاَّ الأثر ، كما أشارت لذلك الآية آنفة الذكر ، وكأنَّه يلوح في الأُفق ، ويصبح سطح الأرض مستويًا بعد أن تُمحى الجبال من فوقها : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا** ﴾ [طه/١١٠] [١٠١] .

((**وقلعَ جبالَها ونَسَفَها وسَيَّرها**)) وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ** ﴾ [المرسلات/١٠] ، نَسْفُ الجبال إذهابُها ... والنسف تحريك الشيء بما يخرج ترابه وما اختلط به مما ليس منه ، ومنه سمي المنسف ونسف الحبوب كلها تجري على هذا الوجه ، وقوله : ﴿ **نُسِفَتْ** ﴾ من قولهم : أنسفتُ الشيء إذا أخذتُه بسرعة [١٠٢] ، ﴿ **وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ** ﴾ ((أي قُلِعَت من مكانها كقوله سبحانه : ﴿ **يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا** ﴾ وقيل نُسفت أُذهبت بسرعة حتى لا يبقى لها أثر في الأرض)) [١٠٣] ، ((ونسفها : قلعها من أصولها ، ((**يُرِيدُ أن يُحْصِيَهم ويميِّزهم**)) ميَّزهم أي فصل بينهم فجعلهم فريقين سعداء وأشقياء ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [يس/٥٩] أي انفصلوا من أهل الطاعة)) [١٠٤] .

في قوله تعالى : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ [الزلزلة/١] ﴿ **زِلْزَالَهَا** ﴾ يعني أنَّ الأرض بأجمعها تهتز في ذلك اليوم خلافًا للزلازل العادية الموضعية عادةً أو أنَّها إشارة إلى الزلزلة المعهودة ، أي زلزلة يوم القيامة ، و(الأثقال) ذكر لها المفسِّرون معاني عدة قيل إنَّها البشر الذين يخرجون من أجداثهم على أثر الزلزال كما جاء في قوله سبحانه : ﴿ **وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ** ﴾ [الانشقاق/٤] ، وقيل إنّها الكنوز المخبوءة التي ترتمي إلى الخارج ، وتبعث الحسرة في قلوب عُبَّاد الدنيا ، ويحتمل أيضًا أن يكون المقصود إخراج المواد الثقيلة الذائبة في باطن الأرض ، وهو ما يحدث أثناء البراكين والزلازل ، فإنّ الأرض في نهاية عمرها تدفع ما في أعماقها إلى الخارج على أثر ذلك الزلزال العظيم يوم كان الجمع بين هذه التفاسير ، في ذلك الجو المليء بالرهبة والفزع ، تصيب الإنسان دهشة ما بعدها دهشة فيقول في ذعر: ما لهذه الأرض تتزلزل وتلقي ما في باطنها ؟ ، ﴿ **وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا** ﴾ [الزلزلة/٣] وأهم من ذلك أنّ الأرض ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ [الزلزلة/٤] تحدِّث بالصَّالح والطَّالح ، وبأعمال الخير والشر ، ممّا وقع على ظهرها ، ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [الزلزلة/٦] ، (أشتات)

جمع (شتّ) على وزن شطّ ، وهو المتفرق والمبعثر ، أي إنَّ النَّاس يردون ساحة المحشر متفرقين مبعثرين ، وقد يكون التفرق والتبعثر لورود أهل كلّ دين منفصلين عن الآخرين أو قد يكون لورود أهل كلّ نقطة من نقاط الأرض بشكل منفصل ، أو قد يكون لورود جماعة بأشكال جميلة مستبشرة ، وجماعة بوجوه عبوسة مكفهرة إلى المحشر، أو إن كلّ أُمّة ترد مع إمامها وقائدها كما في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ** ﴾ [الإسراء/٧١] ، أو أن يُحشر المؤمنون مع المؤمنين والكافرون مع الكافرين ، الجمع بين هذه التفاسير ممكن تمامًا لأنَّ مفهوم الآية واسع ، قوله تعالى : ﴿ **لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ** ﴾ ليروا جزاء أعمالهم ، أو ليروا صحيفة أعمالهم وما سجل فيها من حسنات وسيئات أو المشاهدة الباطنية ، بمعنى المعرفة بكيفية الأعمال أو أنَّها تعني (تجسم الأعمال) ورؤية الأعمال نفسها ، ثمَّ ينتقل الحديث إلى جزاء أعمال المجموعتين المؤمنة والكافرة ، الصالحة والطالحة ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة/٧-٨] ، رؤية الأعمال أي هي رؤية جزاء الأعمال ، أو صحيفة الأعمال ، أو العمل نفسه يوم القيامة حتى إذا عمل ما وزنه ذرة من الذرات يَرَهُ [١٠٥] .

كأنَّ كلام الإمام في الدعاء والخطبة في محتواه قراءة في هذه السورة جاءت بلسان مدَّكر خبير بعد أن يُسِّر القرآن للذكر فكان الإمام (عليه السلام) خير متدبر في القرآن الكريم وهو الذي نهل تفسيره من رسول الله (صلى الله عليه وآله) واللغة طوع بنانه فكان منه أن تبدو بعض مقاطع الدُّعاء والخطبة متناسقة الفحوى مع بعض آيات هذه السّورة المباركة في أعلاه إذ يسرد الإمام (عليه السلام) في كلامه من أحداث يوم القيامة بترتيب مقارب لآيات السورة ، وذلك ببيان صور من الأحداث الهائلة المفزعة التي ترافق نهاية هذا العالم وبدء البعث والنشور ، إذ يقول الإمام (عليه السلام) ثم وصل الأمر إلى الأرض ثم تكلم عن ارتجاجها وارتجافها وتزلزلها وهنا تخبر السورة عن تزلزل الأرض ومن ثم إخراج أثقالها وقد ذكرت التفاسير بأنهم الأموات يخرجون من الأرض والإمام يقول أخرج من فيها ... وجمعهم بعد تفريقهم ، وقد جاء في السورة ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [الزلزلة/٦] أشتات أي أنَّهم متفرقين ، ليروا أعمالهم إلى نهاية السورة الكريمة يوضح كيفية محاسبة الناس على أعمالهم وقِسمَتَهُم فريقين مَن عَمِل الخيرَ يَرَهُ ومَن عَمِل الشرَّ يَرَهُ أيضًا ((**وجمعهم بعد تفريقهم ، يريد أن يحصيهم ويميِّزهم ، فريقًا في ثوابه وفريقًا في عقابه فخلد الأمر لأبده دائمًا خيره وشره ، ثمَّ لم ينسَ الطَّاعة من المطيعين ، ولا المعصية من العاصين ، فأراد عز وجل أن يجازي هؤلاء ، وينتقم من هؤلاء**)) [١٠٦] .

الخاتمة :

في ختام البحث يتضح كيف استعرض الإمام علي (عليه السلام) صورًا لم تكن تحيط بفكرنا ، إذ نجدها في آيات متفرقة من القرآن الكريم ، فعمد الإمام إلى جمعها وعرضها في مشهد متكامل ، فكان هذا أقرب للمعنى القرآني الكريم .

إذ كانت لغةُ الإمامِ لغةً قرآنيةً ساعدت في الوصول إلى فهمِ كثيرٍ من الألفاظ والآيات القرآنية ، إذ كان الإمام يكثر في كلامه من استعمال اللفظ القرآني والنصوص القرآنية .

وأخيرًا نأمل أن يكون هذا الجهد القليل قد أَفْهَمَ ما فيه الحاجة لمريدها أو زاد علم من هو أكثر منا معرفة ليقتبس من نور علي (عليه السلام) ، فرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

هوامش البحث

(١) الصحيفة العلوية : محمد باقر الموحد : ٢٨٧ .

(٢) وردت لفظة القنوط ومشتقاتها في سورة : (الروم/٣٦ ، الزمر/٥٣ ، الشورى/ ٢٨ ، الحجر/٥٥-٥٦ ، فصلت/٤٩) ، ولفظة اليأس في سورة : (يوسف /٨٠ ، ٨٧ ، ١١٠ ، المائدة/٣ ، هود/٩ ، الإسراء/ ٨٣ ، العنكبوت/٢٣ ، فصلت/٤٩ ، الممتحنة/١٣، الطلاق/٤) .

(٣) ظ : العين : الفراهيدي : ١٠٥/٥ مادة (قنط) .

(٤) المحيط في اللغة : الصاحب بن عباد : ١ / ٤٥٧ .

(٥) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، ٥ / ٢٦ مادة (قنط) .

(٦) لسان العرب : ابن منظور : ٧ / ٣٨٦ مادة (قنط) .

(٧) المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى ، وأحمد الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد النجار : ٢ / ٤٤١ مادة (قنط) .

(٨) العين : الفراهيدي :٣٣١/٧ مادة (أيس) .

(٩) لسان العرب : ٦ / ٢٥٩ مادة (يأس) .

(١٠) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس : ٦ / ١٥٣ مادة (يأس) .

(١١) كتاب الكليات : أبو البقاء الكفومي : ١ / ١٥٦٢ .

(١٢) الصحيفة السجادية : الأبطحي : ١٩٠ .

(١٣) ظ : الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري : ١ / ٤٣٦ .

(١٤) ظ : التبيان : الطوسي : ٦ / ٣٤٣ .

(١٥) التبيان : الطوسي : ٨ / ٢٥٣ .

(١٦) تفسير القرطبي : ١٤ / ٣٣ .

(١٧) ظ : التبيان : الطوسي : ٩ / ٣٦ ، ظ : تفسير القمي : القمي : ٢ / ٢٧٦ .

(١٨) التبيان : الطوسي : ٩ / ١٣٢ .

(١٩) تفسير الميزان : الطباطبائي : ١٧ / ٢٠٦ .

(٢٠) ظ : تفسير مجمع البيان : الطبرسي : ٩ / ٣٢ .

(٢١) ظ : التفسير الكبير : الفخر الرازي : ٢٧ / ١٣٧ ، ظ : روح المعاني : الآلوسي : ٢٥ / ٤ .

(٢٢) الصحيفة العلوية : محمد باقر الموحد الأبطحي : ٥٩ .

(٢٣) المصدر نفسه : ٢٨٣.

(٢٤) الصحيفة العلوية : الأبطحي : ٧٢ – ٧٣.

(٢٥) العين : ٧ / ٢٩٨ ، (وسل) .

(٢٦) الصحاح في اللغة : الجوهري : ٥ / ١٨٤١ ، مادة (وسل) .

(٢٧) صحيح البخاري : البخاري :١٥٢/١ ، بحار الأنوار : المجلسي : ٢١٢/٩٤ .

(٢٨) ظ : لسان العرب : ابن منظور : ١١ / ٧٢٤ .

(٢٩) تفسير القمي : ١ / ١٦٨ .

(٣٠) ظ : مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي : ٣ / ٣٢٧ .

(٣١) صحيح مسلم : مسلم النيسابوري : ٢ / ٤ .

(٣٢) العمدة : ابن بطريق : ٣٨ .

(٣٣) مناقب آل أبي طالب : ابن شهر آشوب : ٢ / ٢٧٣ .

(٣٤) ظ : تفسير الميزان : الطباطبائي : ٥ / ١٩١.

(٣٥) بحار الأنوار : العلامة المجلسي : ٤ / ٢٥.

(٣٦) تفسير الأمثل : مكارم الشيرازي : ٣ / ٦٨٧.

([٣٧]) نهج البلاغة ، ١ / ٢١٥ – ٢١٦ ، الأمالي : الطوسي ، ٢١٦ .

([٣٨]) ظ : تفسير الأمثل : الشيرازي : ٩ / ٣٦.

([٣٩]) التبيان : الطوسي : ٦ / ٤٨٤ .

([٤٠]) ظ : تفسير الميزان : الطباطبائي ، ١٣ / ١٣٠ – ١٣١ .

([٤١]) ظ : المصدر نفسه : ١٣ / ١٣١ .

([٤٢]) الكشاف : الزمخشري : ٢ / ٤٥٤ .

([٤٣]) ظ : تفسير الميزان : الطباطبائي : ١٣ / ١٣٠ .

([٤٤]) ظ : تفسير الأمثل : الشيرازي : ٣ / ٦٨٧ – ٦٨٨ .

([٤٥]) الصحيفة العلوية : الأبطحي : ٧٣ – ٧٤ .

([٤٦]) نهج البلاغة : ٢ / ٢٨٩ .

([٤٧]) ظ : العين : الفراهيدي : ١ / ٣٦٤ ، لسان العرب : ابن منظور : ١ / ٦٥٤ ، ومجمع البحرين : الطريحي : ٣ / ٣٤٣ .

([٤٨]) جامع البيان : الطبري : ٢٢ / ٣٠٥ .

([٤٩]) تفسير مجمع البيان : الطبرسي : ٩ / ٢٢٨ .

([٥٠]) صحيح مسلم : مسلم النيسابوري : ٢١/٨ ، الأمالي : الطوسي : ٥٣٧ .

([٥١]) الكشاف : الزمخشري : ٣ / ٥٦٨ .

([٥٢]) ظ : الميزان : الطباطبائي : ٣٢٥/١٨ .

([٥٣]) بحار الأنوار : المجلسي ، ٢٢ / ٥٤ .

([٥٤]) نهج البلاغة : ٢٨٩/٢.

([٥٥]) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ٩ / ٧٢ – ٧٣.

([٥٦]) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : الخوئي : ٣٩٥ .

([٥٧]) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : الصدوق : ٢٤٧.

([٥٨]) ظ : جامع البيان في تأويل القرآن : الطبري : ٢٩ / ٨٢ والكشاف : الزمخشري : ٤ / ١٥٥.

([٥٩]) نهج البلاغة : ١ / ٣٨-٤٠ .

([٦٠]) ظ : المصدر نفسه ، ١ / ٣٩ ، الهامش .

([٦١]) تفسير الرازي : ٣٠ / ١٣٩ .

([٦٢]) مجمع البيان : الطبرسي : ١٠ / ١٣٤ .

([٦٣]) منهاج البراعة : الراوندي : ١ / ٦٨ .

([٦٤]) بحار الأنوار : المجلسي : ٥٦ / ١٧٥.

([٦٥]) التبيان : الطوسي : ٥ / ٦٩ – ٧٠ .

([٦٦]) الكافي : الكليني : ٣ / ٢٦٥.

([٦٧]) تفسير مجمع البيان : الطبرسي : ٨ / ٢٩٦ .

([٦٨]) بحار الأنوار : المجلسي : ٢٤ / ٨٨ .

([٦٩]) تفسير القمي : القمي : ٢ / ٢١٨.

([٧٠]) التبيان : الطوسي : ٨ / ٤٨١ – ٤٨٢.

([٧١]) تبيين القرآن : محمد الحسيني الشيرازي : ٤٥٨.

([٧٢]) تفسير غريب القرآن : فخر الدين الطريحي : ٣٩٦ .

([٧٣]) تفسير مجمع البيان : الطبرسي : ٨ / ٢٩٧ .

([٧٤]) تفسير الأمثل : مكارم الشيرازي : ١٤ / ٤٢٦-٤٢٧ .

(٧٥) مجمع البيان : الطبرسي : ٤ / ٤٢٠ .

(٧٦) ظ : تفسير الميزان : الطباطبائي : ٢٠ / ٦٥ ، ظ : تفسير القمي : القمي : ١ / ٢٥٤

(٧٧) تفسير مجمع البيان : الطبرسي : ٩ / ٢٥ .

(٧٨) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : حبيب الله الخوئي : ٢٤٧ / ٦ .

(٧٩) ظ : تفسير القمي : ٢ / ٦٨ ، ظ : التبيان : الطوسي : ٧ / ٢٣٨ ، ظ : تبيين القرآن : محمد الشيرازي : ٢ /٣٢٣ .

(٨٠) ظ : التبيان : الطوسي : ٧ / ٢٣١ .

(٨١) تفسير مجمع البيان : الطبرسي ٧ / ٧٧ - ٧٨

(٨٢) الكشاف : الزمخشري : ٢ / ٥٦٦.

(٨٣) تفسير الميزان : الطباطبائي : ١٤ / ٢٦٥ .

(٨٤) تفسير مجمع البيان : الطبرسي : ١٠ / ٢٥٢

(٨٥) بحار الأنوار : المجلسي : ٩ / ٢٤٨ .

(٨٦) الصحيفة العلوية : الأبطحي : ٤٢ – ٤٣ .

(٨٧) نهج البلاغة : ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٨٨) منهاج البراعة : الراوندي : ٢ / ٤٦٧ .

(٨٩) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ٣٦ / ١٥ .

(٩٠) التبيان : الطوسي : ٩ / ٤٧٥ .

(٩١) ظ : تفسير مجمع البيان : الطبرسي : ٩ / ٣٢٣ .

(٩٢) ظ : لسان العرب : ابن منظور : ٩ / ١١٢ – ١١٣ ، مادة (رجف) .

(٩٣) ظ : التبيان : الطوسي : ١٠ / ١٦٦ ، ظ : التفسير الأصفى : الكاشاني : ٢ / ١٣٦٨

(٩٤) ظ : تفسير القمي : ٢ / ٤٠٣

(٩٥) ظ : التبيان : الطوسي : ١٠ / ٢٥٣ .

(٩٦) تفسير مجمع البيان : الطبرسي : ١٠ / ٢٢٨.

(٩٧) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ٣٦ / ١٥ .

(٩٨) التبيان : الطوسي : ٤ / ٥٥٥ .

(٩٩) مجمع البيان : الطبرسي : ٤ / ٢٩٣ .

(١٠٠) التبيان : الطوسي : ١٠ / ٢٨١.

(١٠١) ظ : تفسير الأمثل : الشيرازي : ١٩ / ٣٤٢ .

(١٠٢) التبيان : الطوسي : ١٠ / ٢١٧ .

(١٠٣) تفسير مجمع البيان : الطبرسي : ١٠ / ٢٠٤ .

(١٠٤) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ٣٦ / ١٥ .

(١٠٥) ظ : تفسير الأمثل : مكارم الشيرازي : ٢٠ / ٣٧٥ .

(١٠٦) الصحيفة العلوية : الأبطحي : ٤٢ – ٤٣ .

مصادر البحث

📖 **القرآن الكريــم**

📖 **نهـج البلاغـة** : وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علـي بن أبي طالب (عليه السلام) تحقيق وشرح : الشيخ محمد عبده ، الناشر : دار الذخائر ، مطبعة النهضة ، قم – إيران ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ .

١- الأصفى في تفسير القرآن : محمد محسن الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ) ، تحقيق : محمد حسين درايتي ، محمد رضا نعمتي ، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، قم المقدسة – الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

٢- الأمالي : الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، الناشر : دار الثقافة – قم المقدسة ، الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ.

٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، الناشر : مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .

٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : العلامة محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) ، الناشر : مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .

٥- التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، الناشر : مكتب الإعلام الإسلامي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ١٢٠٩هـ .

٦- تبيين القرآن : السيد محمد الحسيني الشيرازي ، الناشر : دار العلوم ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٣م.

٧- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تحقيق وتصحيح : أحمد عبد العليم البردوني ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ .

٨- تفسير القمي : أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (ت٣٢٩هـ) ، تصحيح وتعليق وتقديم : السيد طيب الموسوي الجزائري ، الناشر : مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المقدسة – إيران ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .

٩- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدِّين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، (د . ن) ، الطبعة الثالثة .

١٠- تفسير الميزان : العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤١٢هـ) ، الناشر : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية : قم المقدسة .

١١- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت٣٨١هـ) : الناشر : دار الرضا – قم المقدسة ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٨هـ .
١٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ) ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .
١٤- شرح نهج البلاغة : أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ .
١٥- الصحاح في اللغة : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور العطار ، الناشر : دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ، الطبعة : الرابعة ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
١٦- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ .
١٧- صحيح مسلم (الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم) : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الناشر : دار الجيل – دار الأفاق الجديدة – بيروت .
١٨- الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن الحسين عليهما السلام : الإمام زين العابدين السجاد (عليه السلام) تحقيق : محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني : الناشر مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) ، مؤسسة الأنصاريان ، قم المقدسة ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
١٩- الصحيفة العلوية المباركة الجامعة لأدعية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني : الناشر : مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .
٢٠- العمدة (عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار) : الحافظ يحيى بن الحسن بن البطريق الأسدي الحلي (ت٦٠٠هـ) ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ١٤٠٧هـ .
٢١- العين : أبو عبد الرَّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ أو ١٧٥هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، الناشر : مؤسسة دار الهجرة ، الطبعة الثانية ، إيران ١٤٠٩ هـ .
٢٢- غريب القرآن : فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ) ، تحقيق وتعليق : محمد كاظم الطريحي، الناشر : انتشارات زاهدي – قم المقدسة .

٢٣- الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر : مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، الطبعة : الأولى ١٤١٢هـ .
٢٤- الكافي (الأصول من الكافي) : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ) : تصحيح وتعليق : علي أكبر غفاري ، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ .
٢٥- كتاب الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، تحقيق : عدنان درويش ، محمد المصري ، الناشر : دار الرسالة ، بيروت ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
٢٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٨٥هـ.
٢٧- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى .
٢٨- مجمع البحرين : الشيخ فخر الدِّين الطريحي (ت١٠٨٥هـ) ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني الناشر: مكتب النشر الثقافة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ .
٢٩- مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، قدم له : السيد محسن الأمين العاملي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الأولى : بيروت – لبنان ١٤١٥هـ.
٣٠- المحيط في اللغة : الصاحب إسماعيل بن عباد ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، الناشر : عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م .
٣١- معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، نشر وطبع : مكتبة الإعلام الإسلامي ١٤٠٤هـ .
٣٢- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى ، وأحمد الزيات ، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار) ، الناشر : مكتبة الشرق الدولية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
٣٣- مناقب آل أبي طالب : الإمام الحافظ ابن شهر آشوب مشير الدِّين أبو عبد الله محمد بن السروي المازندراني ، تحقيق وتصحيح وشرح ومقابلة : لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، الناشر : المكتبة الحيدرية – النجف الأشرف ١٣٧٦هـ – ١٩٥٦ م .
٣٤- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : الخوئي ميرزا أحمد حبيب الله الهاشمي (ت١٣٢٤هـ) ، الناشر : المكتبة الإسلامية – طهران ، المطبعة الإسلامية الطبعة الرابعة .

٣٥- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : الراوندي قطب الدِّين أبو الحسين سعيد بن هبة الله، تحقيق : السيِّد عبد اللطيف الكوهكمري ، الناشر : منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .